

الفصل الرابع

البحار والصراع الدولي

كانت الصراعات المختلفة وستظل العوامل التي تحرك الأحداث التاريخية في كل العصور والصراع بين الأمم الكبرى يكون عادة من أجل فرض النفوذ وهو يقوم على مبدئين، أولهما الصراع من أجل البقاء، الذي إذا ما تحقق تسعى هذه القوى إلى المبدأ الثاني، وهو الصراع من أجل فرض النفوذ على المناطق الحيوية بدعوى الأمن.

وبما أن البحار أقدم الطرق بين الأمم، وأيسرها في السيطرة عليها، فإن القوى الكبرى سعت إلى فرض نفوذها عليها، لكن ليست البحار جميعاً ما دار حولها الصراع بين القوى العظمى، إنما دار فقط حول البحار التي تقع في وسط مناطق خلافة للحضارة والتجارة، مثل البحر المتوسط والبحر الأحمر، فقد كان التنافس بين قوة فارس وقوة بيزنطة لا يقتصر على ميدان القتال فحسب، بل كانت التجارة وبسط النفوذ السياسي من أهم الميادين التي امتدت إليها المنافسة⁽¹⁾.

(1) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني = التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد

و بما أن موضوع البحث عن الجزيرة العربية فسيتقصر الحديث على البحر الأحمر وعلى المياه التي تحيط بجزيرة العرب.

1) أهمية البحر الأحمر

قد يجد المرء نفسه في بعض الأحيان مضطراً لأن يقدم معلومات عامة عن الموضوع المبحوث، وذلك إما لندرة المعلومات الخاصة، وإما لأن المعلومات الموجودة بعيدة عن التحديد الزمني، فيعتمدها بالقياس على مؤشرات أخرى.

لقد رسم البحر الأحمر للجزيرة العربية تاريخها وجعلها تتعرض لقوى خارجية تضغط عليها، وتحاول التأثير فيها سياسياً واقتصادياً وذلك لأن جزيرة العرب تقع على البحر الأحمر، وكان البحر الأحمر موضع اهتمام الدول الكبرى آنذاك، لذا فقد تأثرت الجزيرة العربية بذلك الصراع بسبب امتداد حدودها الغربية على هذا البحر، وبسبب أهمية هذا البحر أيضاً.

لقد كون البحر الأحمر مع الخليج العربي وحدة ملاحية مرتبطة ومتكاملة، وهما يحيطان بالجزيرة العربية^(١)، مما جعل بلاد العرب معبراً سهلاً، وقصيراً للتجارات بين الشرق والغرب، وملتقى للطرق بين عالم المحيط الهندي، وعالم البحر المتوسط، ومع الزمن، وبازدياد حجم التبادل التجاري ازداد النشاط الملاحي في المحيط الهندي اتساعاً، حتى وصل إلى أطرافه الشرقية والغربية، وعلى مر العصور كان البحر الأحمر، والخليج العربي، موضع أطماع الدول الكبرى، الأمر الذي كان دائماً يثير الصراع بينها من أجل السيطرة عليهما وبالتالي التحكم في حركة المرور فيهما، عبر الأراضي المجاورة لهما.

إذا حاولت الدول المتصارعة على النفوذ السياسي والتجاري منذ أقدم العصور، فرض نفوذها على سواحلها بقدر المستطاع، ليس طمعاً في مواردها الطبيعية، بقدر ما كان من أجل التحكم في منافذ البحار المحيطة بها من الشرق والجنوب والغرب^(٢)، وفي طريق

السيد غلاب ص 195.

(1) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 401.

(2) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص 39.

القوافل الشهير الذي يمتد بحداء البحر الأحمر، ويربط بين اليمن والشام^(١).
ومن ثم وجدت الجزيرة العربية نفسها مسرحاً للصراع العالمي على النفوذ.

2) تاريخ البحر الأحمر والصلات مع الشرق

إن نظرة حول الفترة ما قبل الفترة المدروسة تظهر أهمية التجارة، ودورها الرئيسي في حياة العرب في عصر ما قبل الإسلام وما بعده، حيث كان العرب إما تجاراً، وإما ناقلين للتجارة، وإما حماة لمسيرها.

لقد سعى المصريون منذ عهد الملكة المصرية حتشبسوب للحصول على البخور المقدس الذي كان يحرق في المعابد، وكان يؤدي به من جنوب غرب الجزيرة العربية، والتي ذكرت في بعض النصوص المصرية باسم الأرض المقدسة^(٢).

ومنذ عهد سرجون (772 ق.م) حاول الآشوريون فرض سيطرتهم فأصبحت مصر في عهد خلفائه تابعة للإمبراطورية الآشورية^(٣).

وجاء الفرس بعدهم، وأخفقوا في السيطرة على التجارة البحرية فيما بين مصر وفارس، فقد كان السبئيون يسيطرون، ويتحكمون في جنوب البحر الأحمر، والفينيقيون يسيطرون على شماله، وكان الصراع بين هاتين القوتين، مجرد تنافس تجاري واقتصادي، نظراً لظروفهما السياسية وطاقتهما العسكرية المحدودة.

وحاول الإغريق، ومن بعدهم الرومان السيطرة الكاملة على التجارة بين الهند ومصر^(٤) ولكنهم أخفقوا أيضاً.

وعلى الرغم من أنهم نجحوا فيما بعد في توسيع دائرة تجارتهم البحرية المباشرة مع الهند في عهد أغسطس، وخلفائه حتى مطلع القرن الثالث^(٥)، فقد تقلصت بعدها نتيجة

(1) ابن خردادبة: المسالك والممالك ص 134 وما بعد.

(2) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 403 وما بعد.

(3) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 403.

(4) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص 39.

(5) جواد: المفصل ج 7 ص 269.

للضعف والتفكك الذي اعتري كيان الإمبراطورية الرومانية، ثم الحروب المتوالية بين الساسانيين والبيزنطيين، حتى غدت السفن البيزنطية لا تتعدى موانئ بلاد العرب الجنوبية، والموانئ المجاورة لها من شرق أفريقيا^(١٤).

وأصبحت التجارة الرومية مع الشرق البعيد لا يقوم بها الروم، وأساطيلهم في البحر الأحمر، والمحيط الهندي، ولكن أصبح يقوم بها الوسطاء والعملاء من الأحباش وحمير^(١٥).

ففي هذه الفترة بلغ سلطان حمير ذروته السياسية والعسكرية، ففي أواخر القرن الثالث الميلادي، ظهر شمر يهر عرش الملك الحميري الذي وحد كل ممالك الجنوب من الجزيرة، وهو أمر يفهم من اللقب الطويل الذي اتخذته ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة^(١٦).

والجدير بالذكر أن العرب كانوا قد دخلوا بأنفسهم في التجارة، وبدؤوا البحث عن التوابل والبخور لسد حاجة التجارة الرومية، ابتداء من القرن الأول الميلادي^(١٧).

لعل في هذه الإمامة السريعة عن الصلات بالشرق الأقصى بعض الغناء في التدليل على الأوضاع التي تميزت به أوضاع المشرق في ذلك الزمن، بما فيها بلاد العرب، وعن الدور الذي شغله البحر الأحمر فيها، وذلك لأن السيادة على البحر المتوسط بحرياً، ارتبطت دوماً بالسيادة على البحر الأحمر، لأن البحر الأحمر كان ومازال الشريان الحيوي لطرق التجارة بين عالم المحيط الهندي، وعالم الغرب الأوربي.

إن البحر الأحمر ليس المنفذ الحيوي إلى العالم الغربي فحسب، بل كان يشكل المصدر الأكبر لاقتصادها، فلاحظ أن مناطق ازدهار الحضارة في شبه جزيرة العرب، ارتبطت دوماً بحركة التجارة عبر الشرق والغرب، وأن الحضارات كانت تضعف وتتهار إذا

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية - لطفي عبد الوهاب يحيى ص 61

(1) حوراني: العرب والملاحة ص 92.

شهاب: فن الملاحة عند العرب ص 4

(2) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول - الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية - لطفي عبد الوهاب يحيى ص 76.

(3) أرياني: نقوش مسندية ص 186.

(4) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص 194.

تدهورت التجارة عبر البحر الأحمر، وتعود من جديد مع عودة النشاط التجاري فيه، لأن دويلات الجزيرة العربية القديمة، إن لم تكن المالكة للحركة التجارية، فقد كانت على الأقل تستفيد منها مادياً، سواء من جمع المكوس أو الإتاوات من القوافل المارة عبر أراضيها مقابل تقديم الحماية اللازمة لها^(١)، ومن الخدمات التي كانت تقدمها لهذه القوافل من خلال مدنها الواقعة على طرق التجارة، ولهذا لوحظ أنه عندما تكون الحركة التجارية في البحر الأحمر نشطة، تجد الحواضر والبوادي في حالة استقرار واستكانة، وتقدم حضاري، فإذا ما اضطرب هذا النشاط التجاري، انعكس أثره بسرعة على الحالة الداخلية لغرب الجزيرة، وعندئذ تخرج القبائل من بواديها لتغير على الحواضر الكبرى القريبة منها، فتتهبها وتلحق بها أضراراً ترجعها إلى الوراء عشرات السنين^(٢).

فالأزمات التاريخية التي شهدتها جزيرة العرب في العصور القديمة ليست في جوهرها سوى انعكاس داخلي لما كان يجري من صراع على البحر الأحمر في الساحة الدولية، وبخاصة بالنسبة لما يتعلق بالصراع حول ميزان القوى بين الأمم المتصارعة، ومن ثم يتوجب دائماً الربط بين مراحل ازدهار الحضارة في الجزيرة العربية، ومراحل الصراع الدولي من أجل السيطرة على البحر الأحمر.

"فالتجارة الواسعة التي كانت تحملها السفن عبر البحار بين مصر من ناحية، وبلاد العرب والهند من ناحية أخرى. كانت تتطلب، ولاشك الهيمنة على شواطئ البحر الأحمر، أو على الأقل على المواقع الهامة المحيطة عليه"^(٣)

"ويحدثنا تاريخ التجارة للهند والعرب، وبلاد البحر المتوسط، أنه على الرغم من الاضطرابات السياسية في بلاد العرب الجنوبية، أخذت تجارة مصر تتقدم وتتطور حتى بلغت شأواً بعيداً أيام الرومان، وذلك لأن الشاطئ الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، أصبح المهيمن الأول على سياسة بلاد العرب الجنوبية وعلى الطريق البحري الجنوبي الروماني

(1) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطلمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 402.

(2) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطلمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 402.

(3) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص 119.

كما رسمه البطلمة^(١٤).

فالبحر الأحمر كان منذ أقدم العصور الطريق الذي حمل إلى العالم القديم أول مبادئ الاتصال الفكري والتجاري^(١٥).

(3) القوى العربية والبحر الأحمر

يلاحظ مما سبق أن البحر الأحمر كان من أهم طرق التجارة البحرية وأقدمها، وقد نشطت التجارة فيه في عصر البطلمة خاصة^(١٦).

فقد ورد في أخبارهم أنهم أرسلوا سفنهم إلى البحر الأحمر، فوصلت إلى السواحل الأفريقية وأنهم قد حضروا قناة لتصل بين نهر النيل والبحر الأحمر ليكون في وسع السفن القادمة من البحر المتوسط من اليونان أو من إيطاليا أو من أي مكان آخر دخول نهر النيل والمرور من القناة إلى المحيط للاتجار مع أسواق البلاد الحارة، والعودة من تلك الأسواق بحاصلات آسيا وأفريقيا إلى أوروبا^(١٧).

سميت هذه القناة فيما بعد، بقناة عمرو بن العاص، وكان اسمها فيما سبق قناة الملك الفرعوني سنوسرت الثالث^(١٨).

و شيد ميناء أر سينوي وكليز ما (القلزم) السابقين للسويس^(١٩). كما استخدم طريق تجاري بري آخر في مصر يصل بين ثنية قنا، والبحر الأحمر، وقامت "فقط" أو "كوبتوس" مركزاً تجارياً على النيل، ومثلها لوكوس ليمن أو القيصر الحالية على البحر الأحمر،

(1) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص 117.

(2) فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 60

(3) فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص 69.

(4) جواد: المفصل 267/7.

برو: تاريخ العرب القديم ص 76

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص 193.

(5) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص 18.

(6) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطلمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص 411.

وكذلك برينيكي أو رأس بناس الحالية، وميوس هرموس أبو شعر الحالية^(لج)."

وكانت هذه الموانئ تتاجر مع موانئ عربية مقابلة لها هي الوجه وينبع وجدة، حيث كان للبطالمة محطات على طول ساحل البحر الأحمر حتى جزيرة سو قطرة^(ب).

ولقد أظهر أهل السواحل العربية الجنوبية والشرقية نشاطاً في ركوب البحر لا نجده عند أهل السواحل الغربية شمال اليمن والذين كانوا يكرهون ركوب البحر^(ت)، ويتهيبون منه، وأنهم لم يكونوا يملكون سفناً لعبوره، فلم نسمع عن ملاحظتهم في ذلك الوقت شيئاً أبداً^(هـ)، حتى أن المهاجرين الأولين من المسلمين لما هربوا من مكة إلى الحبشة، ركبوا سفناً بدائية حبشية أوصلتهم إلى الحبشة^(س). وإن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يتهيب ركوب البحر، وكان يوصي قواده بتجنب جيوشهم مخاطره، والابتعاد عنه قدر الإمكان، وبضرورة وضع أرض آمنة وراء الجيش ليكون في وسعهم الرجوع إليها عند المهالك والمآزق^(ثم).

من خلال مطالعة المصادر والمراجع لم يعثر على صورة مفصلة واضحة عن العرب والبحر، غير ما ذكر، ولعل قول طرفة بن العبد^(ز):

(1) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص 192.

(2) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص 193.

(3) جواد: المفضل 244/7

(4) bury: histiry of the later roman empire, vol.2.p.316-321.

حوراني العرب والملاحة ص 96

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 329.

جواد: المفضل 259/7.

(6) جواد: المفضل 244/7.

شهاب: فن الملاحة عند العرب ص 16.

(7) ديوان طرفة بن العبد - بيروت - دار صادر ص 20.

زوزني: شرح المعلقات السبع ص 46.

جواد: المفضل 251/7.

حوراني: العرب والملاحة ص 21

كويشانونف: الشمال الشرقي ص 22

عدولية أو من سفين بن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي

سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين يقال لها عدولي^(١)، أو إلى قوم كانوا ينزلون هجر، أو إلى عدول، رجل كان يتخذ السفن^(٢)، ولا يستبعد أن يكون مراد الشاعر من السفن العدولية السفن القادمة من ميناء أدولس "عدولي" وهو ميناء تجاري على ساحل الحبشة اشتهر بالتجارة قبل الإسلام^(٣).

إن العرب في العصر المتقدم على الإسلام لم يتمكنوا من مواجهة السفن الرومية وتحديها حين دخلت سفنهم البحر الأحمر، والبحر العربي، والمحيط الهندي بسبب تيارات المحيط الهندي، والشعب المرجانية في البحر الأحمر، وضعف البحارة في ذلك العصر، وتدهورها بعد أن كان للبحارة العرب الجنوبيين فيما سبق تجارة رائجة في البحر، والسبب في ذلك أن صناعة السفن تحتاج إلى أخشاب، وإلى أيدي فنية عاملة، وعلم بهندسة السفن وهذه الأشياء لم تتييسر في جزيرة العرب.

فعلى الرغم من أنه كان لسكان سواحل جزيرة العرب علم بالبحر، وكانت لهم سفن مهما كان حجمها، كانوا يركبونها في اتجارهم مع إفريقية، ومع بلاد الهند، وإيران، وعلى الرغم من أنه عرف عنهم (العرب الجنوبيين) أنهم أقاموا دولة أكسوم في الحبشة^(٤)، وأمتلكوا السواحل الإفريقية المقابلة للعربية الجنوبية أمداً طويلاً، وأنه كان لهم أسطول تجاري مخروا به عباب البحار للاتجار، فقد زاحمهم البيزنطيون والأحباش لأن سفنهم لم تكن ضخمة في ذلك الوقت، فقد صنعوها بأيديهم، مستعينين بالخشب المستورد، وبالخشب المحلي، صنعوها في مواضع متعددة من سواحل جزيرة العرب، ولا سيما على سواحل الخليج، حيث تيسر لسكانها استيراد الخشب الصالح لبناء السفن من الهند، فقد ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري "أنه وجد المخا مزدحماً بالمراكب والبحارة، والتجار، وأن الناس في شغل شاغل بالتجارة وهي مدينة أسواق، أقيمت على أساس من القانون وأهلها

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة عدولي - لسان العرب مادة عدل.

(٢) تاج العروس مادة عدل

الألوسي: بلوغ الأرب 3/365

جواد: المفصل: 251/7

(٣) بيغولييفسكي: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص 189 حاشية

(٤) mosati ; histoire et civilisation, p. 212-213- 214

يحكمون بعض السواحل الأفريقية، باسم أمير المعافر في عهد الملك الحميري (كريب أيل) المقيم في ظفار، وقد أصبحت المخا الميناء الرئيسي لليمن^(١٤) .

ولا يستبعد أن تكون سفن العرب أنواعاً متعددة بحسب أغراضها ووفرة الخشب الصالح لبناء السفن، وعلى قدر اختلاف سكان سواحل الجزيرة بغيرهم من أصحاب السفن^(١٥)، ولا يستبعد أن يكون أهل العربية الجنوبية والعربية الشرقية، قد تأثروا بصناعة السفن اليونانية والساسانية والهندية والأفريقية، لاختلاطهم بهم، ومجيء سفن هؤلاء إلى مراسي السواحل العربية، ولتمكنهم من شراء الخشب الصلد لبناء السفن من أفريقيا والهند أضف إلى ذلك أن الاتجار مع أفريقية سهل يسير بالنسبة إلى تجار العربية الجنوبية، ولا سيما تجار اليمن، فإن الشقة بين سواحل أفريقية وسواحل اليمن ليست واسعة كبيرة.

4) محاولات بزنطة والحبشة الهيمنة على البحر الأحمر

بالرجوع قليلاً لأخبار العصور المتقدمة على عصور ما قبل الإسلام، نجد الأخبار تتحدث عن ازدهار الطريق التجارية المعروفة قديماً في جزيرة العرب باسم طريق العطور، أو طريق البخور التي كانت ممراً لتجارة العطور والبخور وما أشبهها بين الهند واليمن وبلدان البحر المتوسط^(١٦).

فقد اشتهرت بلاد العرب منذ القديم، بأنها "البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والأقاصيا والقرفة، والالاذن^(١٧)". واشتهر السبئيون بغناها باللبان، وأنهم أحرزوا ثروة كبيرة من تجارة الطيوب^(١٨).

ففي عصر المعنيين والسبئيين، اشتهرت هذه الطريق إذ كان هؤلاء، وهؤلاء يتنافسون

(1) أرياني: نقوش مسندية ص 182 نقلا عن غيره

(2) ذكرت للسفن أسماء كثيرة ورد بعضها في القرآن الكريم في الكثير من سوره.

وذكر ابن سيده أسماء كثيرة لها في المخصص في الجزء العاشر، وأحصى بعضها جواد علي في المفصل في الجزء السابع يتظر: جواد: المفصل 247/7 وما بعد.

(3) حتي: تاريخ العرب ص 77.

مروة: النزعات المادية 192/1

(4) حتي: تاريخ العرب ص 77

(5) حتي: تاريخ العرب ص 77 - 78

للسيطرة عليها، وعلى الواحات التي تمر بها من الشمال الغربي من جزيرة العرب^(١).

إلا أن هذه الطريق ما لبثت أن فقدت أهميتها منذ أن فقد المعينيون، والسبثيون سيطرتهم على البحر الأحمر، وسواحل أفريقية الشرقية بسبب انتقال التجارة البحرية إلى أيدي اليونان والرومان، فألحق الضرر باقتصاد اليمن التجاري والزراعي معاً، إضافة إلى ما ألحقه به سيل العرم آنذاك^(٢)، ولربما كان من أسباب هذا ذاك التدهور الاقتصادي الذي ألحق بالبلاد.

ولأهمية هذا الطريق فقد حاول الرومان الاستيلاء عليه عن طريق الاستيلاء على اليمن نفسها، حيث أن الاستيلاء على اليمن كان يمكن أن يمكنهم من السيطرة على الطرق التجارية في المنطقة، وتمرير التجارة البيزنطية بحرية تامة، فتحرر بذلك من تحكم الساسانيين^(٣)، ويتمكن التجار من الوصول إلى الهند. إلا أن ذلك كان يتطلب قوة يعتمد عليها لحماية التجارة، والقوافل، وتوجب أن تكون هذه القوة بالقرب من منطقة التجارة، وقد وجدها الإمبراطور جستنيان في الحبشة، فاتصل بنجاشي الحبشة، وتودد إليه باسم الدين الذي يربط بينهما والمصلحة المشتركة، وأرسل إليه رسولاً اسمه يوليانوس تمهيداً لهذا المشروع، وذلك بقيام الحبشة نفسها بالوساطة في شراء الحرير من جزيرة سيلان وبيعه إلى الروم، وبذلك يتفادوا انقطاع هذه المادية في أثناء الحروب مع الساسانيين، وارتفاع الأسعار، وذهاب أموالهم إلى خزينة أعدائهم الفرس، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد خاب ظن جستنيان في الحبشة، فلم يتمكن الحبش من منافسة الفرس في جزيرة سيلان،

(1) موسل: شمال الحجاز ص 1.

مرورة: النزعات المادية 191/1

نيلسن: التاريخ العربي القديم ص 24

(2) أمين: فجر الإسلام ص 5 - 6

مرورة: النزعات المادية 192/1

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص 142

ترسيصي: اليمن وحضارة العرب ص 42

برو: تاريخ العرب القديم ص 82

الحوث: في طريق الميثولوجيا ص 48

(3) جواد: تاريخ العرب 387/4، فرعون: السياسة الساسانية ص 108

ولا في الموانئ الهندية التي كانت تبخر بهذه البضائع الثمينة^(١٤).

فالقوة التي كان يريدونها جستينان في الحبشة لم تكن على ما يرام، ولم تكن كثيرة العدد، بدليل ما ورد في بعض الروايات من أن السفن التي حملت جيش ملك الحبشة إلى اليمن لغزوها سنة 525 م وذلك في عهد ذي نواس، كانت سفناً يونانية فحين بلغ القيصر بما فعله ذو نواس، أمد النجاشي بأسطول حمل الجيش إلى اليمن^(١٥).

أضف إلى ذلك أن السفن التي حملت الفرس إلى اليمن، كانت ثماني سفن غرقت منها سفينتان وبقيت ست سفن فقط^(١٦)، وقد تغلب من كان بها مع ذلك على الحبش، فلو كان للحبش أسطول بحري قوي، ولو كانت لهم هيمنة على البحر، لما كان بإمكان هذه السفن الفارسية الست الوصول إلى مياه اليمن وإنزال ما فيها من جنود، والتغلب على الحبش، والقضاء على حكمهم.

رب قائل يقول: إن أهل البلاد استجدوا بالفرس، وساعدوهم على ذلك، ولكن هذا لا يعني أن للحبش قوة بحرية، فلو كان لهم قوة بحرية ضخمة لما كان للفرس ما كان. أضف إلى ذلك أن علاقة الحبش باليمن كانت علاقة رديئة مما أثر على تقديم المساعدات.

(1) جواد: تاريخ العرب 388/4، 389.

رستم (أسد) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب دار المكشوف بيروت 1956 م ج1 ص177 يختصر إلى رستم: الروم وصلاتهم بالعرب.

حوراني: العرب والملاحه ص103.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 124/2.

مقدسي: البدء والتاريخ 184/3.

عابدين: بين الحبشة والعرب ص49

ينظر في الفصل الثاني والثالث.

(3) الحميري: ملوك حمير 151.

ابن هشام: السيرة النبوية 65/1.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 141/2.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 448/1

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص52، ابن كثير: البداية والنهاية 223/2 تاريخ

الخميس ص193، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص90.

جميلي: محاضرات ص97 وينظر في الفصل الثاني والثالث.

يستخلص من ذلك. أنه كان للحبش أسطول بحري، ولكنه عبارة عن سفن صغيرة،
بدليل أنه عندما هاجر المسلمون الأولون للحبشة، ركبوا سفناً بدائية حبشية^(١٤).

حيث كان الجار فرضة أهل المدينة ترفاً إليه السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن
والصين والبحرين وبحذائها جزيرة في البحر ميل في ميل يسكنها التجار^(١٥)، وهي من
الموانئ التي كان يقصدها التجار من السواحل المقابلة، ومن سواحل إفريقيا الشرقية،
والمحيط الهندي، وذكر أن الناس، كانوا لا يعبرون إلى الجزيرة إلا بالسفن، وهو مرسى
الحبشة خاصة، وأن بينها، وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل،
ومنها إلى سواحل الجحفة نحو ثلاث مراحل^(١٦).

لذا بقيت السفن الرومية هي المهيمنة على البحر الأحمر، فكانت تصل إلى ميناء
أدوس^(١٧) ومنه يصل التجار إلى أسواق الحبش الداخلية أو إلى موانئ سقطرى التي كان
بها مستوطنون يونانيون، أقاموا فيها منذ أمد طويل، وبنوا الكنائس، والمستوطنات
للإقامة فيها، وظل بعضهم بها إلى أيام الإسلام^(١٨).

وكان ميناء المخا، الميناء المفضل للسفن الرومية تقصده للتجارة ولتموين نفسها بالماء
والغذاء^(١٩)، وكان من موانئ اليمن الهامة على البحر الأحمر.

أما الشعبية فكان من المراسي القديمة في الحجاز، وهي أقدم من جدة، كانت

(١) دليلنا على أن هذه السفن بدائية سؤال جعفر بن أبي طالب رسول الله (ص) عن الكيفية التي يصلي بها
في السفينة وإجابته (ص) صلي قائما إلا أن تخاف الغرق جواد: المفصل ح 7 ص 259.

(٢) تاج العروس مادة جار.

جواد: المفصل 28. 272/7

(٣) ياقوت: معجم البلدان: مادة جار

جواد: المفصل 272/7

(٤) بينز: الإمبراطورية البيزنطية ص 281

(٥) الإكليل 271/1 - 272.

ياقوت: معجم البلدان: مادة سقطرى

شيخو: النصرانية وآدابها 69/1

جواد: المفصل 279/7 وما بعد

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة مخا، تاج العروس: مادة مخا

جواد: المفصل 271/7 - 273

تقصده السفن لتتزوّد بها تحتاج إليه من زاد وماء، ولتفرغ فيه ما تأتي به من شحن من أفريقيا إلى الحجاز، وهو مرفأ مكة، ومرسى سفنها قبل جدة، وإليه جنحت سفينة باقوم التي تحطمت بدفع الريح لها، ومنه هاجر المسلمون إلى الحبشة، ومنه كان يذهب تجار مكة إلى أفريقيا للتجارة قبل الإسلام^(١). وكان باب المنذب مرسى ببحر اليمن، ومركزاً لتبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية، ومكاناً تبخر منه السفن إلى الهند، كما تلجئ إليه السفن الواردة من تلك البلاد، وقد استولى عليه الروم في بعض الأحيان^(٢).

أما جزائر فرسان فهي من الجزر التي كان يتاجر أهلها مع الحبشة، ذكر الهمداني أن سكانها كانوا يعملون في التجارة إلى بلاد الحبش، ولهم في السنة سفرة^(٣).

إذا كانت السفن الرومية هي المهيمنة على البحر الأحمر في ذاك الوقت، وقد دعموا مركزهم هذا، وأنشؤوا قوة بحرية حربية لحماية السفن، والتجار، وحماية المستعمرات التي أقاموها على سواحل هذه الطرق المائية العالمية المهمة، على الرغم من أنه لم تكن المسافات بين المستعمرات الساحلية قصيرة. وذلك ليكون في الإمكان الدفاع عنها، والتعاون فيما بينها، ولحمايتها حماية قوية، زودوها بما تحتاج إليه من مياه عذبة، ومن أطعمة، ومن جنود لصد غارات المعتدين، وبذلك هيمنوا على البحار، وضبطوا البحر الأحمر بصورة خاصة، ولم يبق للعرب من مجال في التجارة العالمية آنذاك إلا بسلوك الطرق البرية الموصلة إلى بلاد الشام والعراق وقد ضمنت تلك القوة البحرية الضخمة للروم السيطرة على البحر الأحمر، واستطاعت احتلال عدن^(٤).

كانت الطرق التي سلكها الروم في البحر الأحمر، عبارة عن طريقين أحدهما يمتد من الإسكندرية مصعداً في النيل، ثم يعبر الصحراء إلى أحد الموانئ، ومنه يسلك البحر الأحمر حتى أدولس (عدولي) ثم إلى أكسوم عاصمة الحبشة في الداخل، إذا دعت الضرورة.

(1) ياقوت: معجم البلدان مادة شعيبية.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 363-36

(2) ياقوت: معجم البلدان مادة شعيبية.

جواد: المفضل 274/7

(3) الهمداني: الصفة 73-207

جواد: المفضل 274/7

وفرسان من جزائر اليمن، ياقوت: معجم البلدان مادة فرسان.

(4) جواد: المفضل ح 7 ص 277 وينظر مصور رقم (5)

وطريق آخر يبدأ من أيلة^(١)، ويمتد على طول الشاطئ الغربي، وله بعض المراسي فكانت السفن ترسو إذا جن الليل عند أحد المراسي الطبيعية على ذلك الشاطئ خوفاً من مضاحله^(٢).

(5) الفرس ومطامعهم في اليمن، وجزيرة العرب

لم يعثر على معلومات تثبت وجود قوة بحرية ساسانية، أو نشاط بحري في البحر الأحمر في كل العهود، وذلك لاقتصار نشاطهم على الخليج العربي، والمحيط الهندي، فقد كان الخليج العربي ميداناً رائعاً للملاحة بين جنوب غرب آسية، والشرق الأقصى، لا سيما وأنه كان مدرسة قديمة للملاحة بسبب وجود مصايد اللؤلؤ، واعتماد أهله على البحر^(٣)، وقد استطاعت فارس أن تتغلغل ثقافياً وسياسياً في بلاد العرب، كما كان للفرس تجارة رابحة تركت أثرها في نفوس جميع العرب حتى بلاد اليمن، وكانت لها هيمنة في تلك المواضع^(٤)، حيث بنى أردشير الأول جملة موانئ بحرية، يقول كريستنسن نقلاً عن رينو: "أن الفرس، وقد اتحدوا مع العرب، واشتركوا معاً في الحكومة بمهارة، كونوا بحرية جديرة بالإعجاب بالتدريج، وقد أخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية كلها، وبدأت منافسة للأسطولين الرومي، والحبشي أول الأمر، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك، وكان النفوذ الذي كسبه الفرس في البحر من الأسباب الرئيسية للتدهور ثم للسقوط الكلي الذي لحق سمعة الروم في البحار الشرقية^(٥)".

وكانت حدود الدولة الساسانية مع البلاد العربية غير ثابتة تتبدل، وتتغير بحسب الظروف والأحوال، وتتوسع أحياناً، وتراجع، وتقلص أحياناً أخرى. فعندما كانت تضطرب أوضاع الإمبراطورية الرومية كانت تستغل هذه الظروف الحرجة وتلك الأوضاع

(1) أيلة مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام وقيل آخر الحجاز وأول الشام. ياقوت: معجم البلدان مادة أيلة.

(2) حوراني: العرب والملاحة ص100

(3) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص196.

(4) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص197.

(5) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ص116

القلقة، وتزيد من نشاطها في البحر وبالوقت نفسه تمعن في مطاردة التجار البيزنطيين في البحر العربي وفي الخليج، وفي الهند، وكان من جراء ذلك أن قل عدد سفن الروم في المحيط، وبالتالي اكتفت بالوصول إلى باب المندب، والسواحل الأفريقية في بعض الأحيان، عند اشتداد الأزمات، ونشوب الاضطرابات الداخلية، أو نزول كوارث بالروم في البحر^(١).

فحين يكون للساسانيين قوة بحرية كافية كانوا يتقدمون نحو الجنوب في اتجاه العروص، وبقية الأقسام الشرقية من جزيرة العرب، وينسحبون منها حين تضعف هذه القوة، وحين تلهيهم الأحداث الداخلية وحروبهم عن التفكير في الجنوب^(٢).

فقد أعار الساسانيون انتباهاً كبيراً للقدر القتالية لجيوشهم الموجودة في الشمال الغربي للحدود مع بيزنطة، أما المناطق الغربية للخليج العربي "شرق الجزيرة العربية" التي كانت محتلة من قبل الفرس في القرن الأول، ومنتصف القرن الثالث الميلادي، فلم يحشدوا فيها قوات عسكرية كبيرة، وهذه الحالة تفسر بأن شرق الجزيرة لم تشكل خطراً كبيراً على الفرس^(٣).

وسعوا للسيطرة على طرق القوافل التجارية المؤدية إلى الهند عبر خليج فارس، وامتلاك الموانئ التجارية، والأسواق لبيع البضائع في شرق الجزيرة العربية ولذا عاش في المدن الساحلية عدد كبير من التجار الفرس.

و بغض النظر عن التأثير الكبير لإيران على تجارة شرق الجزيرة العربية، لم تستلح إيران الساسانية إخضاع القبائل العربية بالكامل، فغالبا عندما ما كانت السلطة المركزية في إيران محاطة بالصراعات الداخلية، كانت القبائل العربية تهاجم ممتلكات الساسانيين محدثة خسائر كبيرة. ففي أوائل القرن الرابع نجد عرب البحرين والساحل يعبرون الخليج العربي للإغارة على الإمبراطورية الفارسية حوالي 310م^(٤).

و بعد ذلك لسنوات قلائل يرد الملك الساساني سابور الثاني على هذه الغارة بمثلها ويذبح

(1) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص196.

(2) جواد: المفصل 633/2

(3) فرعون: السياسة الساسانية ص114

(4) حوراني: العرب والملاحه ص91

كثيراً من سكان البحرين، وفيها يومئذ بنو تميم، ويقيم فيها جالية من الفرس^(١)، كانت هذه الحملة واسعة، أوصلته إلى البحرين، وهجر واليمامة والحجاز، وتخوم الشام^(٢).

وقد استعرض الطبري هذه الحملة بقوله:

"..... واستقرى بلاد البحرين يقتل أهلها، ولا يقبل فداء ولا يعرج على غنيمة، ثم مضى على وجهه فورد هجر، وبها ناس من أعراب تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس، فأفشى فيهم القتل وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لا ينجيه منه غار في جبل، ولا جزيرة في بحر، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة، فقتل بها مثل تلك المقتلة، ولم يمر بهاء من مياه العرب إلا غوره ولا جب من جبابهم إلا طمه. أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر، ثم عطف نحو بلاد بكر تغلب فيما بين مملكة فارس، ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبى وطم مياههم، وأنه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين وأسمهما هيح والخط ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر، ومن كان من بكر ابن وائل كرمان، وهم الذين يدعون بكر أبان، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز^(٣)".

إلا أنه على الرغم من ذلك فقد امتازت السياسة الخارجية لإيران بالمرونة إلى جانب الضغط القوي على الجيران، فقد كان الساسانيون يلجؤون إلى سياسة العلاقات الطيبة مع الجوار، كي يأمنوا على حدودهم الغربية، وكما هو معروف دافع عن مصالح الفرس

(1) الطبري: (ابن جرير) تاريخ ملوك العرب والفرس - مطبعة محمد مصر 1337 - 1919 ص 77 يختصر

إلى الطبري: تاريخ ملوك العرب والفرس وينظر المسعودي: مروج الذهب 281/1.

شيخو: النصرانية وآدابها 70/1، كحالة: العالم الإسلامي 63/1

حوراني: العرب والملاحة 91.

عثمان: الحدود الإسلامية 122/1

(2) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول - الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية - مقالة لطفي

عبد الوهاب يحيى ص 74.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 57. الطبري: تاريخ ملوك الفرس والعرب ص 76 وما بعد وينظر

ابن خلدون: العبر ج 2 ص 172.

وينظر أيضاً: الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص 517 وما بعد

جواد: تاريخ العرب ج 4 ص 301 - 306

في الغرب دولة اللخمين العربية التي كانت تقود وتراقب، وتسيطر على قبائل شرق الجزيرة العربية^(١٤).

وكانت البحرين تدخل في قوام الدولة الساسانية منذ زمن سابور الثاني، حكمها الوالي العربي المعين من قبل ملك الحيرة^(١٥)، وقد كان والي البحرين عند ظهور الإسلام المنذر بن ساوى. وهو من بني تميم حكمها باسم الفرس^(١٦)، إلا أنه في الزمن الساساني المتأخر كان إلى جانب الوالي العربي مرزيان إيراني^(١٧)، "وفي أخريات القرن الرابع، كان الخليج العربي يعج بالملاحه وكانت السفن البحرية تختتم رحلاتها في تيريدون عند مصب الفرات"^(١٨). وكان بالمنطقة عدة موانئ محمية، ومراسي، وكان السكان قادرين على استغلال ثروات البر والبحر معاً^(١٩).

ولم تكن البحرين المركز الوحيد للساسانيين فقد أسكن أردشير الأول، الأزدي في عمان فبقوا فيها، تحت حكم الفرس^(٢٠). واعتنقوا المزدكية^(٢١)، فلقد كان للبحرين

(1) يذكر أنه امتد حكم امرئ القيس بن عمرو بن عدي من الحيرة وبلاد الشام إلى نجد والحجاز حتى بلغ نجران.

ديسو: العرب في سورية ص26 وما بعد.

جواد: المفضل 191/3

عابدين: بين الحبشة والعرب ص35.

جميلي: محاضرات ص138 وقد كان لابنه النعمان الأول كتيبتان كان يغزو الشام بهما وإلى جانبهما ثلاث أخرى غير نظامية.

الميداني: مجمع الأمثال 118/1، لسان العرب مادة دوسر

الألوسي: بلوغ الأرب 176/2، جواد: المفضل 278/3.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 259 - 260

جميلي: محاضرات ص139. علي حسن: التاريخ الإسلامي العام ص72

(2) فرعون: السياسة الساسانية ص115

(3) ابن حبيب: المحبر ص265.

جواد: تاريخ العرب 30/4

(4) فرعون: السياسة الساسانية ص115

(5) حوراني: العرب والملاحه ص91

(6) حوراني: العرب والملاحه ص91

(7) جواد: تاريخ العرب 261/4

جواد: المفضل 634/2

وعمان ملاحتهما، وكان في موائلهما عنصر فارسي قوي، وكانت قد أصبحتا تابعتين قليلاً أو كثيراً للإمبراطورية الساسانية^(١٠٦)، فلقد شهد القرن الرابع الميلادي ضغطاً حريباً من الشرق من قبل الفرس في منطقة عمان^(١٠٧)، ولكن الفرس لم يشكلوا ثقلًا سياسيًا، ولا تحالفياً مع حكومة المدينة في عمان، مثلما شكله الأبناء في صنعاء، وبهذا ذاب بعضهم ضمن الإطار القبلي الكبير لقبيلة الأزد اليمنية في عمان^(١٠٨).

فهذه السيطرة تجارية بحتة، ولم تكن استيطانية بشرياً، تبعه سيطرة سياسية واقتصادية على بعض المراكز بحيث أصبح "الفرس في السواحل وشطوط البحر، والأزد ملوك في سائر البلاد، والأمور كلها منوطة بهم. وكان كل من غضب عليه كسرى من الفرس وأهل بيته ومملكته أو خافه على نفسه ومملكه أرسله إلى عمان يحبسها بها، فلم يزالوا كذلك بين ظهرائي الأزد إلى أن أظهر الله الإسلام بعمان، فأخرجوهم منها^(١٠٩)"، وكان نعام بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن عدي أول رجل أغار على الفرس بعمان^(١١٠)، مما يدل على وجودهم في عمان.

أضف إلى ذلك أنه ربما كان لعلاقات التحالف العسكرية والاقتصادية بين الحكم المركزي في صنعاء أيام سيف بن ذي يزن وكسرى أنو شروان في فارس^(١١١) ما يسوغ هذه السيطرة على المراكز في شرقي اليمن (عمان) بحكم القرب الجغرافي والمصالح الاقتصادية. وقد ظلت سوق عمان تحت نفوذ الفرس الفعلي، وكان ملوك الفرس هم الذين يولون

حوراني: العرب والملاحة 106 - 107

(1) ينظر في فصل الديانات لتفسير معنى المزدكية.

(2) حوراني: العرب والملاحة ص 107

(3) لاندو "روم" الإسلام والعرب، تعريب منير بعلبكي - دار العلم للملايين بيروت ط1 1962 ص 22 يختصر إلى لاندو الإسلام والعرب، وينظر شكري: الأوضاع القبلية ص 87.

(4) دائرة المعارف الإسلامية 348/14.

شكري: الأوضاع القبلية ص 52

(5) السالمي: (نور الدين عبد الله بن حميد) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ط2 - مطبعة الشباب - القاهرة 1350 ح 1 ص 37 يختصر إلى السالمي: تحفة الأعيان.

(6) نسب معد واليمن الكبير ح 2 ص 172.

ابن حزم: الجمهرة ح 2 ص 370

(7) ابن خلدون: العبر ح 2 ص 177.

شكري: الأوضاع القبلية ص 51

عليها الأمراء، وكان لهم نفوذ على هجر، وفيها مرزبان يدعى سبيخت، واليه ذهب العلاء بن الحضرمي يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم معه جميع العرب وبعض العجم^(٤٤).

وكان للفرس نفوذ على المشقر، لأن المكعبر واسمه دار فروز بن حشانشان، تولى وادي البحرين، وعمان إلى اليمامة واليمن ونواحيها^(٤٥)، فتكون فارس قد بسطت سلطانها على سواحل الخليج العربي كله، وعلى سواحل بحر اليمن^(٤٦)، وذلك حين أرسلوا قوات طردت الحبشة منها، واستولت على نصف سواحل جزيرة العرب^(٤٧).

ولم يأت القرن السادس الميلادي إلا والفرس مكانة عالية وممتازة على طرق التجارة البرية والبحرية الموصلة بين الهند والصين، والإمبراطورية البيزنطية، حيث كونت لها مراكز تجارية حتى جزيرة سقطرى نفسها، وفي أدولس ميناء الحبشة الرئيسي، وبهذا سيطروا على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة، وساحل شرق أفريقية من جهة أخرى^(٤٨)، فسلطة فارس انتشرت في الأساس على المدن الساحلية، والمراكز التجارية لشرق الجزيرة العربية، وكل الأراضي الباقية، بقيت في أيدي زعماء القبائل المحليين، الذين كانوا يملكون السلطة الحقيقية على القبائل التي كانت تعيش في القسم الشرقي لشبه الجزيرة العربية، لذلك في فترة انتشار الإسلام، أرسل الرسول محمد (ص) عدة رسائل لحكام، وزعماء شرق الجزيرة العربية يدعوهم إلى دخول الإسلام^(٤٩)، وتشهد هذه

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة هجر.

جواد: تاريخ العرب 4/410

(٢) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص 116

(٣) الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص 614.

أبي مخرمة: (أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد)

تاريخ ثغر عدن، مكتبة المثنى بغداد 1936 ح 1 ص 22.

يختصر إلى أبي مخرمة - تاريخ ثغر عدن

(٤) الأفغاني: أسواق ص 254.

وينظر الفصل الثاني فقرة الفرس في اليمن.

(٥) عاقل: (نبية) دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية - جامعة دمشق 1967 ص 71 - 72 يختصر

إلى عاقل الإمبراطورية البيزنطية، حوراني: العرب والملاحة 218. شكري: الأوضاع القبلية ص 50

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ح 2 ص 654، الحلبي (أبي البقاء هبة الله) المناقب المزيدية في أخبار

الملوك الأسدية. تحقيق صالح موسى درازكة ومحمد عبد القادر خريسات - الجامعة الأردنية عمان -

مكتبة الرسالة الحديثة 1984 ح 1 ص 46 - 47 يختصر إلى الحلبي: المناقب المزيدية.

الرسائل على أن القسم الشرقي من جزيرة العرب، لم يكن تحت سلطة حاكم واحد، حيث لم يبد الحكام الفرس أية مقاومة للجيش العربي، وهذا دليل على ضعف موقعهم.

إذ أن الساسانيين لم يكونوا أقوياء في البحر، في القسم الشرقي عند ظهور الإسلام، وآية ذلك هو أن عاملهم على اليمن كان يرسل الطاف اليمن، وما يجمعه منها إلى كسرى عن طريق البر حيث تعتبر اليمامة في الوسط عقدة المواصلات التي كانت السبب الأكبر في التنافس بين القبائل للسيطرة عليها^(ج).

وكان على اليمامة هوزة بن علي الحنفي، وكان ملكاً على دين النصرانية، وعلى علاقات حسنة بالفرس، وبأرضه تمر غير كسرى في طريقها إلى اليمن لتسلم إلى أعماله هناك^(ب)، وقد تعرض بنو تميم لقافلة كسرى التي كانت قادمة من اليمن في طريقها إلى المدائن، وانتهبوها وسلبوا رسل كسرى وأساورته^(د)، فأوقع بهم كسرى حتى وهنوا، ويقال لهذا اليوم يوم الصفقة^(هـ).

وكان الساسانيون كالبيزنطيين، وقد اتخذوا مسالح لهم على مشارف البوادي، والحدود لحماية أملاكهم من الغزو، ولإخبار الحكومة عند ذنو العدو، وحالة حدوث خطر، وهي أبنية حصينة^(س)، كما ذكر عن مسلحة العذيب على طريق البادية^(ع).

السالمي: تحفة الأعيان 45.

الحيدر آبادي (محمد حميد الله) مجموعة الوثائق السياسية - القاهرة 1941 ص 129 - 130 يختصر إلى الحيدر آبادي، وثائق، سعيد (أمين) تاريخ الإسلام السياسي مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ص 186، يختصر إلى سعيد: تاريخ الإسلام السياسي، فرعون: السياسة الساسانية ص 116.

(1) الأفغاني: أسواق ص 225 - 230

وينظر دراسات تاريخية عند (11) عام 1983 - الرداة - مقالة بقلم صالح دراركة ص 25.

(2) جواد: تاريخ العرب 410/4

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 620/1 وما بعد - جواد: المفصل ح 7 ص 283 حو: تيارات ثقافية ص 22

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ح 1 ص 620 - 621.

ابن خلدون: العبر 65/2.

جواد: تاريخ العرب 212/3

جاد المولى (محمد أحمد) أيام العرب في الجاهلية - دار إحياء التراث العربي ص 1 وما بعد. يختصر إلى جاد المولى أيام العرب.

حو: الحياة العربية 116.

(5) جواد: المفصل 647/2 - 648

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفرس حاولوا مراراً السيطرة على طريق الحرير الموصل إلى مكة، وكان لهم لأجل ذلك عدة حوادث كحادثة البراض، وإجارة لطيمة النعمان بن المنذر، وقيام حرب الفجار، فكل ذلك محاولات لتحقيق هذا الغرض، علاوة على المحاولات الأخرى كنشر الزندقة التي قامت في فارس للسيطرة على بلاد العرب، والطريق التجارية إلى مكة^(١).

وكان على يثرب وتهامة عامل من قبل مرزبان البادية يجبي خراجها^(٢)، وذكر أن الفرس فتحوا سلع أو البتراء عام 540^(٣) م، وحاولوا السيطرة على مكة^(٤)، إلا أن ذلك موضع جدل كبير بين المؤرخين فضريق يرى أن ضعف نفوذ تميم، وارتفاع سلطان غطفان كان مسبباً بفعل السياسة الفارسية.

وقد نفذت هذه السياسة بواسطة مملكة لخم كي يحصلوا على موطئ قدم في هذه المنطقة.

فهناك محاولة هامة أقدم عليها الفرس، وذلك أنهم أرادوا أن يفرضوا سلطانهم على مكة، كان ذلك في زمن قباذ الذي تزندق، وتبع مذهب مزدك، وعزل بني نصر الذين رفضوا قبول دينه. ورافقه الحارث الكندي. وأمر قباذ - كما تذكر القصة - الحارث أن يجبر العرب من أهل نجد وتهامة على اعتناق هذا الدين، وحين بلغ هذا التيار مكة اعتنق بعض الناس دين المزدكية فمنهم من تزندق، ومنهم من امتنع، من هؤلاء عبد مناف الذي جمع قومه، وأخبرهم أنه لن يتخلى عن دين إسماعيل وإبراهيم ويتبع ديناً يفرض بالسيف، وحين عرف الحارث بالأمر أخبر قباذ فأمره بهدم البيت ويقتل عبد مناف وإزالة رئاسة قصي، ففكر الحارث ذلك وداخلته حمية للعرب، فدرأ عنهم، وشغل قباذ بغيرهم.^(٥)

(1) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص 275

(2) ابن هشام: السيرة النبوية 196/1 وما بعد

تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 15. جاد الحولي: أيام العرب 2327 وما بعد

(3) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص 63 - 64 - 175

(4) روم لاندو: الإسلام والعرب ص 30

(5) كستر: الحيرة ومكة ص 10 - 58

(6) كستر: الحيرة ومكة ص 10

وقد استدلل بعض المؤرخين من بيت شعر يقول: (١)

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج بني قريظة والنضير

أن سلطان الفرس وصل إلى المدينة، إلا أن ذلك غير مؤكد لأنه لم يعزز بمصادر، بل المؤكد أن أهل المدينة كانوا أحراراً لا سلطان للفرس أو الروم عليهم، ثم كيف يستطيع عامل المرزبان جباية الخراج من شمالي الحجاز، وقوته ضعيفة في البحرين^(٢).

يستخلص من كل ذلك أن التنافس بين قوة فارس وقوة بيزنطة لم يقتصر على ميدان القتال فحسب، بل كانت التجارة وبسط النفوذ السياسي من أهم الميادين التي امتدت إليها المنافسة. وقد تجسد التنافس بين الذراعين البحرينيين الكبيرين. فبينما انشأ البطالمة خطأ شبه منتظم للتجارة بين خليج عدن، وشرقي البحر المتوسط، نشط هذا الطريق فيما بعد، وأصبح مجالاً للهيمنة الرومية، يقابله هيمنة الفرس على سواحل الخليج العربي، والمحيط الهندي، فقد حكم الفرس الكثير من الأطراف الشرقية حتى وصلوا إلى اليمن، لكن لم تكن هيمنة الفرس على طرق الملاحة بالمحيط الهندي، والقسم الجنوبي من البحر الأحمر في مصلحة أكسوم وعدولي وبيزنطة، فعمدت إلى نشر النصرانية، وأنفقت على بناء الكنائس بسخاء، وعني الجميع بتقوية الحدود مع البادية ببناء المسالح.

والجدير بالذكر أن ملوك الروم لم يرسلوا قوافل تجارية خاصة بهم للتاجر مع شبه جزيرة العرب على غير ما كان يفعل الملوك الساسانيون. فقد كانوا يتاجرون مع العرب، يشترون منهم ويبيعون، ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبية لبيع ما تحمله في أسواقها ولشراء السلع العربية الجنوبية يحملونها إلى أسواق العراق.

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة مدينة يثرب

(٢) كستر: الحيرة ومكة ص ١١